هل يجب في الذئب أنْ يكون حيوانًا

قال تعالى: {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} [يوسف: 14].

مما لا يخفى أنَّ الذئب حيوانٌ يشترك مع البشر في الحيوانيّة ويختلف عنه في الناطقيّة، إذ كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنطق من دون غيره من المخلوقات التي خلقها، والذئب يتَّصف بكثير من الصفات الإيجابيّة التي قد يفتقر إليها بعض البشر؛ فقد ورد بحسب المختصّين أنَّ الذئب يميل كثيرًا إلى رعاية صلة الرحم، فالأبوان مثلًا ليس عليهما البحث عن الطعام إذا بلغ الصغار؛ بل يتحمّل الأبناء إطعام الوالدين و يصبرون عليهما، والذئب يوصف بوفائه لزوجه فالخيانة ممنوعة في مجتمع الذئاب بين الزوجين، ومن جهة أخرى يتحمّل الرائد في المسيرة عناء الوصول وشقّ الطريق، وهذه الصفات المحترمة أصبحت مفقودة في كثير من المجتمعات التي نعبِّر عنها بأنّها بشريَّة.

ومع كل هذه الصفات الإيجابية للذئب إلّا أنَّه يتَّصف بكثير من الصفات السلبيّة ولاسيما فيما يتعلق بالافتراس الخبيث الذي يكون خارج دائرة حاجته، والذي يهُمُّنا أنّ بعض البشر شايع الذئب في صفاته السلبية، فأصبح متقمِّصًا دور الذئب في المجتمع؛ إذ يفترس من دون حاجة ويُكثر الأذى في المجتمع حتى ظنَّ بعضهم أنَّ المجتمع بات للمفترسين الذين يتربّصون بالفقراء والعُزَّلِ ويحسبون كل فرصة صيدًا بقطع النظر عن المتعلّقات الأخرى وبعيدًا عن الأبعاد الإنسانيّة التي ينبغي لها أن تسود في كل مكان وزمان.

إنَّ القرآن الكريم أكَّد في خطابه على مظلوميَّة الذئب؛ إذ اتّهمه البشر وهو من القتل براء، فلم يكن للذئب نصيب في دم يوسف الصديق (عليه السلام)؛ بل كانت الذئاب البشريّة هي التي فتكت به، واليوم أصبح الفتك فنًّا عند بعض الناس في مختلف المؤسّسات ومنها الجامعات؛ إذ يتحدّثُ بعض المراقبين أنَّ كثيرًا من البنات أصبحنَ عرضة للذئاب البشريّة في هذا الوسط المخيف، وهذا ينبئُ بكثيرٍ من المشكلات التي قد لا تسترها المعالجات المرحليّة؛ لذلك ينبغي أنْ نُفعِّل الدور الرقابيِّ في الجامعات ونحاسب المفترسين الذين يترقّبون الفرصة للتنكيل بالطالبات اللاتي يتعرّضنَ لمختلف وسائل الابتزاز حتى من بعض الكوادر التدريسيّة التي رضيت بأنْ تكون سلعة للسفاهة المجتمعيّة ووسيلة من وسائل الشيطان.

والأمر لا يتوقّف عند حدود الجامعات؛ بل هناك كثيرٌ من المؤسّسات التي افتضح أمرها، وشاع فُحشها، ففي الأسواق مثلًا تجد أنَّ الذي يتمسّك بالضوابط والأحكام الشرعيَّة يُعاقَب كما عوقب يوسف الصدِّيق (عليه السلام) وكأنَّ المجتمع بات ميدانًا للفاسدين الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد فأصبحت ذات الدين عُرضة للاستهداف؛ لأنَّها قد تشكِّل خطرًا على الذئاب الذين اختلط الحرام بدمائهم فلا يبصرون غير الباطل الذي لازمهم فتصوَّروا أنَّهم على الحق لسفاهتهم، أو أصرُّوا على باطلهم مع سبق علمهم لتفاهتهم وعدم وعيهم بخطورة أمرهم، وقد يلازمهم التسويف المخيف كالذي لازم أبناء يعقوب (عليه السلام) فتفوتهم التوبة ولا يتوفّقون لبراءة الذمّة فتكون خاتمة أمرهم عسرًا، والذئب منهم براء.